

فضيلة العشر الاواخر

BAYENAHSAALAF.COM



الشيخ محمد بن صالح العثيمين

— رحمه الله —

شبكة البنية التحتية

وربما يظهرُ الله عِلْمَهَا لبعضِ العبادِ بآماراتٍ وعلاماتٍ يراها كما رأى النبيُّ صلى الله عليه وسلّم علامتها أنه يسجدُ في صبيحتها في ماءٍ وطينٍ فنزل المطرُ في تلك الليلة فسجد في صلاة الصبح في ماءٍ وطينٍ. إخواني: ليلةُ القدرِ يُفتح فيها الباب، ويقربُ فيها الأحبابُ، ويُسمع الخطابُ، ويردُّ الجوابُ، ويكتبُ للعاملين فيها عظيمُ الأجرِ، ليلةُ القدرِ خيرٌ من ألف شهرٍ، فاجتهدوا رحمكم الله في طلبها، فهذا أوانُ الطلبِ، واحذروا من الغفلةِ ففي الغفلةِ العطبُ...

الجلس الثاني والعشرون

من مجلس رمضان

الشيخ محمد بن صالح العثيمين

رحمه الله

شبكة البنية التحتية

وهي في السَّبعِ الأواخرِ أَقْرَبُ، لحديث ابنِ عمر رضي الله عنهما أَنَّ رجلاً من أصحاب النبيِّ صلى الله عليه وسلّم أُرُوا ليلةُ القدرِ في المنام في السبعِ الأواخر فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلّم: «أَرَى رُؤْيَاكُمْ قد تَوَاطَت (يعني اتفقت) في السبعِ الأواخرِ فمن كَانَ مُتَحَرِّبَهَا فَلْيَتَحَرَّهَا في السبعِ الأواخرِ»، متفق عليه. ولمسلم عنه: أَنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلّم قال: «الْتِمِسُوهَا في العشرِ الأواخرِ (يعني ليلةُ القدرِ) فَإِنْ ضَعُفَ أَحَدُكُمْ أَوْ عَجَزَ فَلَا يُغَلِّبَنَّ عَلَى السَّبعِ الْبَاقِي». وأقربُ أوتارِ السبعِ الأواخرِ ليلةُ سبعِ وعشرين لحديث أبي بن كعب رضي الله عنه أنه قال: «والله لأعلم أَيُّ ليلةٍ هي الليلةُ التي أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلّم بقيامِها هي ليلةُ سبعِ وعشرين»، رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وَلَا تَخْتَصُّ لَيْلَةُ الْقَدْرِ بِلَيْلَةٍ مُعَيَّنَةٍ فِي جَمِيعِ الْأَعْوَامِ بَلْ تَنْتَقِلُ فَتَكُونُ فِي عَامٍ لَيْلَةُ سَبْعٍ وَعَشْرِينَ مَثَلًا وَفِي عَامٍ آخَرَ لَيْلَةُ خَمْسٍ وَعَشْرِينَ تَبْعًا لِمَشْيِئَةِ اللَّهِ وَحُكْمَتِهِ، وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْتِمِسُوهَا فِي تَاسِعَةٍ تَبْقَى فِي سَابِعَةٍ تَبْقَى فِي خَامِسَةٍ تَبْقَى»، رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. قال في فتح الباري: أَرَجَحُ الْأَقْوَالُ أَنَّهَا فِي وَتَرٍ مِنَ الْعَشْرِ الْآخِرِ وَأَنَّهَا تَنْتَقِلُ. أَهـ. وقد أَحْصَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ عِلْمَهَا عَلَى الْعِبَادِ رَحْمَةً بِهِمْ لِيَكْثُرَ عَمَلُهُمْ فِي طَلَبِهَا فِي تِلْكَ اللَّيَالِي الْفَاضِلَةِ بِالصَّلَاةِ وَالذِّكْرِ وَالِدَّعَاءِ فَيَزِدَادُوا قُرْبَةً مِنَ اللَّهِ وَثَوَابًا، وَأَخْفَاهَا اخْتِبَارًا لَهُمْ أَيْضًا لِيَتَبَيَّنَ بِذَلِكَ مَنْ كَانَ جَادًّا فِي طَلَبِهَا حَرِيصًا عَلَيْهَا مِمَّنْ كَانَ كَسَلَانًا مَتَهَاوِنًا، فَإِنَّ مَنْ حَرَصَ عَلَى شَيْءٍ جَدَّ فِي طَلَبِهِ وَهَانَ عَلَيْهِ التَّعَبُ فِي سَبِيلِ الْوَصُولِ إِلَيْهِ وَالظَّفَرُ بِهِ، وَرَبَّمَا يَظْهَرُ اللَّهُ عِلْمَهَا لِبَعْضِ الْعِبَادِ بِآمَارَاتٍ وَعِلَامَاتٍ يَرَاهَا كَمَا رَأَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَامَتَهَا أَنَّهُ يَسْجُدُ فِي صَبِيحَتِهَا فِي مَاءٍ وَطِينٍ فَنَزَلَ الْمَطَرُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ فَسَجَدَ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ فِي مَاءٍ وَطِينٍ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من رسول الله وآله وصحبه ومن ولاه ، وبعد:

إخواني: في العشر الأواخر من رمضان ليلة القدر التي شرفها الله على غيرها، ومن على هذه الأمة بحزبيل فضلها وخيرها، أشاد الله بفضلها في كتابه المبين فقال تعالى: { إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ (٣) فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ (٤) أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (٥) رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٦) رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنُتُمْ مُوقِنِينَ (٧) لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (٨) } [الدخان: ٣ - ٨]. وصفها الله سبحانه بأنها مباركة لكثرة خيرها وبركتها وفضلها، فمن بركتها أن هذا القرآن المبارك أنزل فيها ووصفها سبحانه بأنه يُفْرَقُ فيها كلُّ أمرٍ حكيم، يعني يفصل من اللوح المحفوظ إلى الكتبة ما هو كائن من أمر الله سبحانه في تلك السنة من الأرزاق والآجال والخير والشر وغير ذلك من كلِّ أمرٍ حكيم من أوامر الله المحكَّمة المتقَّنة التي ليس فيها خللٌ ولا نقصٌ ولا سَفَهٌ ولا باطلٌ ذلك تقدير العزيز العليم. وقال تعالى: { إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ (٤) سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ (٥) } [القدر: ١ - ٥].

القَدْرُ بمعنى الشرف والتعظيم أو بمعنى التقدير والقضاء؛ لأنَّ ليلة القدر شريفة عظيمة يقدر الله فيها ما يكون في السنة ويقضيه من أموره الحكيمة { لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ } يعني في الفضل والشرف وكثرة الثواب والأجر ولذلك كان مَنْ قامها إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه. { تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحُ فِيهَا } الملائكة عباد من عباد الله قائمون بعبادته ليلاً ونهار { لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ * يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ } [الأنبياء: ١٩، ٢٠] يتنزلون في ليلة القدر إلى الأرض بالخير والبركة والرحمة { وَالرُّوحُ } هو جبريل عليه السلام خصه بالذكر لشرفه وفضله. { سَلَامٌ هِيَ } يعني أن ليلة القدر ليلة سلام للمؤمنين من كل مخوف لكثرة من يعتق فيها من النار، ويسلم من عذابها. { حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ } يعني أن ليلة القدر تنتهي بطلوع الفجر لانتهاه عمل الليل به، وفي هذه السورة الكريمة فضائل متعددة ليلية القدر:

الفضيلة الأولى: أن الله أنزل فيها القرآن الذي به هداية البشر وسعادتهم في الدنيا والآخرة.

الفضيلة الثانية: ما يدل عليه الاستفهام من التفخيم والتعظيم في قوله: { وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ }.

الفضيلة الثالثة: أنها خيرٌ من ألف شهر.

الفضيلة الرابعة: أن الملائكة تنزل فيها وهم لا ينزلون إلا بالخير والبركة والرحمة.

الفضيلة الخامسة: أنها سلام لكثرة السلامة فيها من العقاب والعذاب بما يقوم به العبد من طاعة الله عز وجل.

الفضيلة السادسة: أن الله أنزل في فضلها سورة كاملة تُتلى إلى يوم القيامة.

ومن فضائل ليلة القدر ما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه»، فقله إيماناً واحتساباً يعني إيماناً بالله وبما أعد الله من الثواب للقاتمين فيها واحتساباً للأجر وطلب الثواب. وهذا حاصل لمن علم بها ومن لم يعلم لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يشترط العلم بها في حصول هذا الأجر. وليلة القدر في رمضان، لأن الله أنزل القرآن فيها وقد أخبر أن إنزاله في شهر رمضان، قال تعالى: { إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ } [القدر: ١]، وقال: { شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ } [البقرة: ١٨٥]. فهذا تعيين أن تكون ليلة القدر في رمضان، وهي موجودة في الأمم وفي هذه الأمة إلى يوم القيامة لما روى الإمام أحمد والنسائي عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال: «يا رسول الله أخبرني عن ليلة القدر أهى في رمضان أم في غيره؟ قال: بل هي في رمضان. قال: تكون مع الأنبياء ما كانوا فإذا قبضوا رُفعت أم هي إلى يوم القيامة؟ قال: بل هي إلى يوم القيامة» [٥٢] (الحديث). لكن فضلها وأجرها يختص بالله أعلم بهذه الأمة كما اختصت هذه الأمة بفضيلة يوم الجمعة وغيرها من الفضائل والله الحمد.

وليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ»، متفق عليه.

وهي في الأوتار أقرب من الأشفاع لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْوَتْرِ مِنَ الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ»، رواد البخاري.